جامعة الأزهر

كلية البنات الإسلامية بأسيوط

الطفولة و الأدب
إبداع حضاري عبر رؤية إسلامية

إعداد

د / كمال سعد محمد خليفة

أستاذ الأدب والنقد المتفرغ،ووكيل الكلية لدراسات العليا والبحوث السابق

بكلية البنات الإسلامية، جامعة الأزهر، مصر.

المؤتمر العلمي الدولي الثاني

الحضارة الإنسانية في التراث العربي والإسلامي

أصالة الأثر.. عالمية التأثير

(في الفترة من ٨ إلى ٩ فبراير ٢٠٢٥م)

الجزء الثاني

١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م

الطفولة و الأدب إبداع حضاري عبر رؤية إسلامية .

أ.د . كمال سعد محمد خليفة

قسم الأدب والنقد بكلية البنات الإسلامية بأسيوط. جامعة الأزهر ، مصر.

البريد الالكتروني:*kamalsaad.78@azhar.edu.eg*

الملخص

إنّ الاهتمام بأدب الطفولة بوصفه وسيلة مهمة في تربية النشء لا ينبع من فراغ، فلا ينكر أحد ما للأدب الجيد من قدرة فذة على غزو النفوس، واستلاب العقول، وتشكيل الوجدان، وعقل الطفل ووجدانه في هذه المرحلة جوهرة نفيسة خالية من كل نقش أو صورة، فهو قابل للنقش، ومهيأ للتعلم، فإن عُوّد الخير وعُلّمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه كلّ معلّم له ومؤدب، وإن عُوّد الشرّ وأُهمل، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة كل متكفل بتربيته. ومن هنا ندرك خطورة المسئوليّة الملقاة على كاهل الأدباء بوصفهم أحد المربّين للأطفال، وتتجلى كذلك أهميّة الأدب المقدّم للأطفال؛ فيجب أن يتضمن أهدافا وخصائص فنية، تحقق الأثر المبتغى من تلبية احتياجات الأطفال النفسية والعقلية، وتربية أذواقهم وإرهاف إحساساتهم؛ ليتمكنوا من التكيف مع الحياة ومتغيراتها بإيجابية ووعي، في ظل عقيدة سليمة ووازع دينيّ قويّ، وأفق رحب، وعقل مستنير.

ولكي يؤتي أدب الأطفال ثماره المرجوّة لابد أن يستقي مادته أو مضمونه من أسسٍ قويمةٍ ومنهجٍ سليمٍ في التربية، ولابد كذلك من صياغة هذا المضمون في شكل فنيّ تجمعت فيه كلّ مقومات الأدب الجيد الرصين . فليس أدب الأطفال عملًا تربويًّا فحسب، ولكنه عمل فنيّ كذلك، ولابد أيضا أن تكون الوسائط التي تقدم هذا الأدب للأطفال تراعي تحقيق الغايات المنشودة؛ ليتحقق من مجموع هذا كله الإمتاع والانتفاع، وبذلك نكون قد قدمنا تصورًا لأدب قادر على الجذب والتأثير والتحصين، نابع من ذات قادرة على البناء، ومؤمنة بقيم حضارية وإنسانية تنبثق من رؤية الأديب لهذا الإبداع، الذي ينحو نحو التحضر والبناء، فضلا عن التربية وتمكين الوعي والانتماء والفكر، بوصفها مقومات حضارية تسهم في صناعة المجتمعات السوية الراقية في عالم اليوم .

الكلمات المفتاحية: كلمات : أدب ، طفولة ، حضاري، إسلامي ، إبداع، تربوي.

Childhood and Literature: A Civilizational Creation through an Islamic Perspective

Prof. Dr. Kamal Saad Mohamed Khalifa
Professor of Literature and Criticism, Faculty of Islamic Girls, Assiut University, Al-Azhar University, Egypt

Email: *kamalsaad.78@azhar.edu.eg*

Abstract

The interest in children's literature as an important tool in educating the youth is not without foundation. No one can deny the profound ability of good literature to captivate souls, seize minds, and shape emotions. At this stage of childhood, the child's mind and heart are a precious gem, free of any inscriptions or images, ready to be molded, and open to learning. If a child is accustomed to goodness and taught well, they will grow up to be successful in both this world and the Hereafter, and every teacher and educator will share in their reward. If a child is accustomed to evil and neglected, they will suffer, and the responsibility lies with those who were tasked with raising them.

From here, we understand the significance of the responsibility placed upon writers as they are key educators for children. The importance of the literature presented to children is evident; it must include goals and artistic characteristics that achieve the intended effect of meeting the psychological and intellectual needs of children, cultivating their tastes, and sharpening their sensibilities. This allows them to adapt positively to life and its changes with sound belief, strong religious commitment, a broad perspective, and an enlightened mind.

For children's literature to yield the desired results, it must draw from solid foundations and a proper educational approach. The content must also be presented in an artistic form that integrates all the elements of quality literature. Children's literature is not just an educational endeavor; it is also an artistic one. Furthermore, the mediums through which this literature is delivered must consider achieving the intended goals. This ensures enjoyment and benefit, providing a vision for literature that can attract, influence, and protect, emerging from a capable source that believes in the civilizational and human values. These values stem from the writer's perspective on creativity, which leans towards civilization, construction, and nurturing awareness, belonging, and thought—fundamental components that contribute to the development of healthy, advanced societies in today's world.

Keywords: *Literature, Childhood, Civilizational, Islamic, Creative, Educational.*

مدخل:

إنّ الاهتمام بأدب الطفولة – بوصفه وسيلة حضارية مهمة في تربية النشء – لا ينبع من فراغ، فلا ينكر أحد ما للأدب الجيد من قدرة فذة على غزو النفوس، واستلاب العقول، وتشكيل الوجدان، وعقل الطفل ووجدانه في هذه المرحلة جوهرة نفيسة وشفافة ؛ خالية من كل نقش أو صورة . فعقل الطفل ووجدانه يقبلان النقش، ومهيآن للتعلم، فإن عُوّد الخير وعُلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه كلّ معلّم له ومؤدب، وإن عُوّد الشرّ وأُهمل، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة كل متكفل بتربيته.

من هنا ، ندرك خطورة المسئوليّة الملقاة على كاهل الأدباء بوصفهم أحد أهم المربّين لوجدان الأطفال، ومشكلي ذائقتهم ، وتتجلى أهميّة الأدب المقدّم لشرائحهم السنية المختلفة ؛ فيجب أن يتضمن نتاجهم الأدبي أهدافا وخصائص فنية، تحقق الأثر المبتغى من تلبية احتياجات الأطفال النفسية والعقلية، وتربية أذواقهم وترهيف إحساساتهم؛ ليتمكنوا من التكيف مع الحياة ومتغيراتها بإيجابية ووعي، في ظل عقيدة سليمة ووازع دينيّ قويّ، وأفق إنساني رحب ، وعقل مدرك مستنير.

ولكي يؤتي أدب الأطفال ثماره المرجوّة لابد أن يستقي مادته أو مضمونه من قيم فكرية قويمةٍ ، ومنهجٍ تربوي صحيح ، ولابد كذلك من صياغة هذا المضمون في شكل فنيّ تجمعت فيه كلّ مقومات الأدب الجيد . فليس أدب الأطفال عملاً تربويّاً فحسب، ولكنه عمل فنيّ بديع ، ولابد أيضا أن تكون الوسائط التي تقدم هذا الأدب للأطفال تراعي تحقيق هذه الغايات المنشودة ؛ ليتحقق من مجموع هذا كله الإمتاع والانتفاع(التعلم)، وبذلك نكون قد قدمنا لأجيالنا تصوراً مستقيما لأدب قادر على الجذب والتأثير والتحصين.

وعليه يصبح لهذا الإبداع الأدبي الرصين الموجه للمرحلة العمرية فيما دون مرحلة الفتوة أو الشبيبة – الطفولة – ضرورته الإبداعية التي ترقى به إلى مصاف الجلال الحضاري والجمال الفني والتي تتمثل فيما تتناوله الدراسة من القضايا التي يعنى

بها المبدع والناقد والمتابع للإبداع الأدبي الموجه للطفل العربي والمسلم. **ولعل من أهمها ما يأتي** :

أولا : الرؤية والمفهوم .

ثانيا : متلقي أدب الأطفال .

ثالثا : ماذا نكتب للأطفال ؟

رابعا : المعايير الفنية والفكرية لأدب للأطفال .

خامسا : مشكلات أدب الأطفال .

سادسا : أنموذج تحليلي لمنتج أدبي للطفل .

الطفل هو اللبنة الأولى التي ينهض عليها الأساس في بناء الأسرة ؛ أي أسرة في المجتمعات الإنسانية ، في ثقافة ما. أو عالم ما.. هو اللبنة التي إذا ما أحسن وضعها في مكانها الملائم تتحمل البنيان الأعظم في تكوين الأسرة / المجتمع ، أيَّ مجتمع .! ومن ثم ، وجدنا الإسلام بوصفه عقيدة إنسانية وحضارية بانية للمجتمع الإنساني ، عُنِي بالطفل قبل أن يولد ، فاهتم باختيار الأم التي ستلد هذا المولود ، وأعلى من شأن اختيار أعضاء الأسرة حتى يكون نتاجها – الطفل – فاعلا في هذا البناء الإنساني الرفيع ، ثم أحاطه سواء أكان مفردا ، أو عضوا في أسرته الأولى ، أو في الأسرة الأعظم ؛ المجتمع بأسوجة – لو صحت العبارة – تحميه ، وتحفظ وجوده ، وتكفل نموه في مجتمع صالح ؛ لإنتاج مثل هذه النماذج البشرية ، التي تشكل في مجموعها بناءً اجتماعيا، حضاريا وإنسانيا ، يكون أنموذجا للحركة والبناء والإسهام في عمارة هذا الكون العظيم ..

أولا : الرؤية والمفهوم .

إن إبداع أدب الطفل ليس بعيدا عن مظلة إبداع الأدب العام ، وليس مختلفا عنه ، ولا عن ثقافة المجتمع الذي تتفاعل آلياته مع أنماطه الإنسانية ، وفق منظومة إجرائية

حضارية ، ورؤية بنائية عقدية تنبثق عنها ثقافة هذا المجتمع ، الذي تُسْتَنبَتُ فيه هذه البراعم البشرية المسماة بـ (الأطفال)، الذين يحدب كل مجتمع على تربيتهم ورعايتهم ، وتشكيل هويتهم ويربي ذائقتهم ووجدانهم ، وتحرير رؤاهم ؛ ليصيروا رجالا ، نماذج فاعلة في بناء المجتمع المتحضر في فضاء هذا الكون الفسيح .. فيتأهل هذا الإنسان وفق منظومة البناء المعرفي ، والنسق الثقافي /الأدبي / الديني ..! إذ أن عملية توظيف هذه الآفاق المعرفية ، والأنساق الفكرية والوجدانية والإيمانية ، هي التي ستشكل- مستقبلا – هذه الطينة التي يُبنى فيها هذا الإنسان ، الذي سيحمل بعد ذلك عبء الخلافة والمسئولية الحضارية والتكليف الإلهي في عمارة هذا الكون .

فالأدب هو أحد هذه الوسائط أو الأدوات التي تسهم في تشكيل هذا النمو أو التوعية مع غيرها من الأنساق الأخرى التي ذكرنا ، لهذا الإنسان ، المؤهل لحمل الأمانة(المسئولية)، والانطلاق بها حيث الوجهة الإنسانية والحضارية ، التي تشكل الإنسان الأنموذج ؛ (الصالح المصلح) ، الذي ينبغي أن يكون قدوة ودليلا راشدا لإدارة الحياة ، كما أرادها الله عز وجل .. " إذ الطفل في عالمنا المعاصر، المترع بالمشكلات والنزاعات ، والتعقيدات الثقافية والفكرية والسياسية ، هو نصف الحاضر ، وكل المستقبل . ومن ثم ، أصبحت الكثير من الدراسات مشغولة بما ينتج من إبداع أدبي يعنى بمشكلات الحياة / الواقع الذي يعيشه الطفل ، ومحاولة فهم العوامل التي من شأنها أن تنهض بحاضره ، وتدفع به نحو مستقبل مشرق ؛ مستقبل الأمة . والأدب أيا كان نوعه لا ينفصل عن الحياة بكل امتلائها وصخبها ، بل إن الأدب والفن مكونان أساسيان لحـــياة الإنسان المعاصر" [1] .

---

١) البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث ص : ٧ . بتصرف – د. موفق رياض مقدادي – عالم المعرفة – عدد (٣٩٢) ، مطبوعات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – سبتمبر ٢٠١٢م – الكويت .

ومن هنا ، لا يختلف أدب الأطفال في مفهومه ووظائفه عن الأدب عموما ، أو الأدب الذي يكتب للكبار ، " إلا في كونه موجها إلى فئة عمرية خاصة هي الأطفال ، وهذه الفئة تتميز بمستوى عقلي معين ، وبإمكانات وقدرات نفسية ووجدانية تختلف عنَّا نحن الكبار .. ووسائلهم في البحث والتفكير والتحليل والاستيعاب ليست كوسائلنا الناضجة ، التي اكتسبناها بالمران والتجربة الطويلة ، والثقافات المتنوعة . كما أن لديهم الرغبة الجامحة في ارتياد المجهول والانطلاق عبر الآفاق غير الممدودة ، وتشكيل عالم خاص يختلف عن عالم الكبار "[1] .

وإذا كان الأدب باتساع مفهومه الذي لا يخرج كثيرا عن الأدب العام " الذي يعني: المرآة التي تنعكس عليها مشكلات المجتمع وقضاياه ، وآلامه وآماله . والبحث عن طاقة النور التي تهدي الحيارى ، وتنقذ الجانحين في المجتمع ، وتقدم لهم الدواء الذي يسهم في إنقاذهم من وهدة الانحراف ، وتسمو بهم حيث آفاق الإنسانية والحضارية في عالم الحياة اليوم ، وهنا يتماس الأدب في مفهومه العام المفعم بحركة الحياة ،وتداعيات مشكلاتها مع الدين ، " فالدين إنساني وعام في معناه ، يتغنى بالفضائل الإنسانية ويدعو إليها ، فالأخوة البشرية ركن وطيد من أركانه ، والعدالة معلم بارز من معالمه الشامخة ، والحرية سمة مشرقة من سماته السمحة ، والحب شذى حلو يعطر مبادئه ومقاييسه الخالدة ، والرحمة صفة حميدة تخضد شوكة الأقوياء ، وتعضد قضية الضعفاء والمغلوبين .. الدين ضوء كاشف ينير ولا يعمي العيون ، يظهر معميات الحياة ، ويجلو حقائقها دون زيف أو خداع .... والفن تعبير رائع ممتع عن النفس والحياة ، يتميز بالأصالة والصدق ، تعبير عن التجارب الإنسانية في شكل فني متعارف عليه .. وإذا كان الفن عاريا من الصدق فقد تهدمت دعامة كبرى من دعائمه ، فتنهار كل مقوماته ، ويفقد أغلى قيمة فيه ، ويصبح تعبيرا زائفا عن النفس والحياة، وتزويرا للواقع

(١) أدب الأطفال في ضوء الإسلام ص : ١٣ نجيب الكيلاني . بتصرف– مؤسسة الرسالة – أولى – ١٩٨٦م– لبنان .

الذي نعيشه . الفن بلا مضمون خواء وفراغ ، إن الأكواب الفارغة لا تروي الظمأ ، والثمرة العفنة لا تستسيغها النفس !!... إن مادة الفن هي الحياة والنفس الإنسانية ، ومقوماته هي الصدق والأصالة الفنية والمضامين السليمة .... ومادة الدين هي الحياة والنفس الإنسانية ، ومقومات الدين الصادق المنزل من عند الله (ﷻ) هي الصدق والأصالة والمثل العليا ، التي تتواءم مع واقع الحياة ، وتتطور معها وتشبعها بالسعادة والحب والإخاء والعدالة والحرية .... إن غاية الفن الإمتاع والإفادة والتحريض على بناء المجتمع الأفضل وغاية الدين لا تخرج عن إسعاد البشرية واستمتاعها بحياتها وسيطرة المثل الفاضلة على علاقات البشر ، كل البشر مهما اختلفت أجناسهم أو أعراقهم أو دياناتهم ، والتهيؤ لعالم أفضل ..."[١].

ومن منطلق هذه الرؤية الحضارية ، يتبلور مفهوم (أدب الطفل) في تصوره الإسلامي الرفيع في أنه : " التعبير الأدبي الجميل المؤثر عبر الإيحاء والدلالة عن قيم الحياة وعلاقات الطفل ، في ضوء التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان" [٢] .

في ضوء هذه الرؤية الإبداعية ، لابد من أن يتنبه كُتَّاب أدب الأطفال من أصحاب المواهب المفطورة على استنشاق عبير الأصالة ، وقيم الوحي، وترسيخ الأخلاق والقيم في النشء ، وكذلك نقاد هذا الفن الأدبي الموجَّه إلى فلذات أكبادنا (الأطفال) ، لمحاولة استخلاص المقومات الفنية والإبداعية ، التي تشكل ملامح ما يمكن تسميته بنظرية " أدب الطفل ". المنبثق من رؤية إسلامية تتغيا البعد الحضاري لإنسانية الإنسان، حتى ليستلهمها أولئك المبدعون عند إبداعهم لأدب يتشكل عبر الرؤية الحضارية للإبداع الأدبي . فعندما يتعامل الناقد المسلم مع أي نص إبداعي من نصوص هذا الأدب الموجه للطفل ، تكون لديه مقومات جمالية خاصة ، تحكم تصوره في

---

(١) الإسلامية والمذاهب الأدبية ص:١١ :١٤ مواضع مختلفة وبتصرف – نجيب الكيلاني – مؤسسة الرسالة – رابعة –١٩٨٥م– بيروت .

(٢) اهتدينا في هذا التعريف بما جاء في كتاب أدب الأطفال في الإسلام ص : ١٤ . د. نجيب الكيلاني .

مناقشته لهذا العمل ، وثوابت منهجية قائمة على ثوابت الإبداع الفني في تشكيله الفني العالمي ، وثوابت فكرية حضارية مستمدة من العقيدة الإسلامية .. وليس هذا معناه أن نفرغ النص من محتواه الفكري ، ونطوعه لمقاييسنا النقدية الصارمة ، ولكن نبحث ونناقش النص في ضوء هذه المعارف أو المقاييس الجمالية والقيم ، التي يرتضيها ذوق النشء المسلم الذي يتلقى هذا الإبداع ، ويُنْشَأ من أجله !! " فالأدب ، أي أدب ، مرتبط حتما بالموقف الفكري للأديب ، وهو موقف ينبع من تصور معين للحياة ، ولعلاقة الإنسان بالكون ، وبأخيه الإنسان، وبالحياة في بُعدِها الحضاري الإنساني النبيل . ومن العبث تجريد الأدب من قيمه ، إذ لا يبقى بعد التجريد إلا عبارات خاوية جوفاء ، أو خطوط صماء ، فهذا التصور موجود وإن لم يشعر به الفنان "، في الوقت الذي لا يمكن في الوقت نفسه للأدب أي أدب ، أن يتخلى عن العقيدة أية عقيدة !! حتى الأدب الذي أبدعه بعض المعتنقين لمذاهب فكرية وضعية ، أو أيديولوجيات بشرية ، إذا بحثنا في جوهره وجدناه ملتزمًا بهذه العقيدة أو تلك الأيديولوجية أيَّمًا كان منبعها !! ... ، حتى الأدب الجاهلي كان يُصدر في كثير من نصوصه – إن لم تكن كلها – عن عقائدهم وقيمهم وتقاليدهم السائدة آنئذ ، بخلاف أن الأدب يشارك الدين في وظيفة هي من أسمى وظائفه ، وهي كونه يسمو بالنفس الإنسانية إلى إنسانيتها الحقيقية ؛" فالفن والدين – كما يقول أحد النقاد – صنوان في أعماق النفس ، وقرارة الحس . وإدراك الجمال الفني ، دليل استعداد لتلقي التأثير الديني، حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع ، وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال..[1] ".

(١) التصوير الفني في القرآن ص :١٤٣، ١٤٤ سيد قطب . دار الشروق – العاشرة – ١٩٨٨م– القاهرة .

كما أن" الدين يلتقي في حقيقة النفس بالفن ، والأدب جزء منه . فكلاهما انطلاق من عالم الضرورة ، وكلاهما شوق مجنح لعالم الكمال ، وكلاهما ثورة على آلية الحياة"(١) .

الأدب في ظل هذا التصور الديني ، وجد في مجال الدرس النقدي جدلاً ما زالت معركته قائمة ، ولن تهدأ على الرغم من أن النظرية– إذا جاز لنا أن نسميها كذلك – قد استوى عودها ، وتجاوزت الفكرة طفولتها ، وأصبحت شابة فتية ، تبهر العين ، وتدهش النفس ، بعدما انتشر عبقها في عالم الإبداع الأدبي ، وأصبحت لها مؤسسات ودوريات تتحدث باسمها ، وتتابع نشاطها ، وتناقش أعمال مبدعيها ، في ضوء معطياتها الفنية والفكرية . واتساع النتاج الأدبي على ساحة العالم الإسلامي ومؤسساته الجامعية والتعليمية ، ورصد للإبداع الأدبي المنبثق عن تصورها ، ويصب في محيط رؤيتها ، يقول محمد حسن بريغش : " إن التيار العذب – الأدب الإسلامي – بدأ يشتد ويقوى، وأضحى يعمق مجراه ، ويخط في الأرض سبل اليقين " (٢).

على الرغم من كل ذلك ، إلا أن الموتورين من دعاة التنوير والعلمانيين يحسون دائمًا التراب في وجه دعاة الأصالة وسدنة الإبداع الذي يؤصل للقيم الإنسانية ، ويحفز على التزام الثوابت الدينية !! إلا أن مبدعي ونقاد الأدب الإسلامي لم يعبأوا لترهاتهم ، ولم ينخدعوا لزيف دعاواهم ، وشقوا طريقهم بثبات وثقة نحو عالم الإبداع ، فولد مُنتجَهم الأدبي شامخًا شموخ حضارة العقيدة التي ينتمي إليها هذا الإبداع ؛ يترجم عن قيمها ، ويؤصل لوعيها الحضاري ، ويحتمي بثوابتها العريقة .. بمقدار وعيه بالذات التي ينتمي إليها (الله . الكون . الإنسان) ، يتفاعل معها ، وينفعل بها ، فتنعكس في ذاته ، وتطفر في إبداعه تجارب إنسانية وحياتية ؛ قادرة على التعامل مع مفردات هذا

---

(١) راجع : دراسة الأدب الإسلامي : إشكالية المصطلح – بحث منشور للدكتور كمال سعد محمد في مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط – عدد (٣٢) للعام الجامعي :٢٠١٤م – جامعة الأزهر . أسيوط .

(٢) في الأدب الإسلامي المعاصر . ص : ٧٧ محمد حسن بريغش – مكتبة المنار . ١٩٨٥ م . الأردن .

الكون ، وطبيعة الحضارة التي تشكل توجهات إنسان ووعيه بدوره في الحياة التي يحياها المجتمع في واقعه ؛ أمسه ، ويومه ، وغده ..

وعلى ذلك فإن معطيات هذا الاتصال بين الفن والدين (العلاقة الحضارية) في العملية الإبداعية لأدب الأطفال ، لابد أن تحفز الناقد الأدبي لهذا الإبداع ، وتدفعه لأَن يضع يدنا على هذه المقومات الإنسانية والحضارية لخصوصية هذه التجربة الإبداعية ، التي تنبثق في معالجاتها من رؤية الإسلام ؛ الدين الحضاري الإنساني ، الذي يؤسس لبناء الإنسان الفاعل ؛ جنينا وطفلا ويافعا وفتى وشابا وشيخا وكهلا في هذه الحياة .

إن التجربة الأدبية في الكتابة للأطفال بشقيها الإبداعي والنقدي تشكل هذا الجانب المهم في بناء شخصية متلقي الأدب ؛ الطفل ، الذي يغدو في المستقبل (رجلا) يحمل أمانة الخلافة ، ويكون عبدا لله تعالى (أنموذجا) فاعلا في إدارة حركة الحياة ، على الصفة التي خلقه الله عليها، ووفق المهمة التي أوجد من أجلها في هذه الحياة .

من هنا، كان لابد أن نميز بين ما يمكن تسميته بـ (أدب الطفل) وما نسميه (ثقافة الطفل):

الثقافة لا تعني للأديب أو الناقد المعرفة " بالنحو والصرف ، أو مجرد تكَوُّن حصيلة لغوية ، (أو حتى قواعد العلوم التجريبية والإنسانية ومعادلاتها) ، فالكثير من الروايات التي كتبت للكبار يستطيع الصغار قراءتها ، وفهم الكثير من مفرداتها ، ولكنهم لن يفهموا الظروف النفسية والشعورية للشخصيات ، أو ما وراء النص من معان ووسائط خفية ، أو إدراك الميزات الأدبية للكاتب ، والوقوف عند الرمز والعقدة في قصصه ، أو معرفة توجهات الكاتب السياسية أو الاجتماعية ، أو أهدافه العامة أو الخاصة من وراء إبداع هذا الأدب . إذ يتخذ أدب الأطفال أشكالا/ فنونا عديدة ، ويكتب في مجالات مختلفة وواسعة سعة هذه الحياة . وإذا كانت ثقافة الأطفال تعني موضوعات الكتب

ومقالات المجلات التي يقرؤونها، ومشاهدة الأفلام والمسارح ودراما المسلسلات ، وسماع الأغاني الخاصة بهم، فهذا هو المقصود أيضا بأدب الأطفال[١] ".

هذا التعريف يخلط بين ثقافة الأطفال وأدبهم ، مما يؤدي إلى الخلط بين مفهومي ثقافة الطفل وأدب الطفل ، مما يدفعنا إلى التركيز على تحديد مفهوم خاص لأدب الأطفال ، يتبلور فيما ندعيه بأنه : " الآثار الفنية التي تصور أفكارا وإحساسات وأخيلة تتفق ومدارك الأطفال ، تتخذ أشكال القصة ، والشعر ، والمسرحية ، والمقالة والأغنية [٢] " . إذ يركز هذا التعريف على بعدين :

الأول : أن أدب الأطفال نتاج فني يحدث أثرا ومتعة فنية في متلقيه سواء أكان شعرا أم نثرا .

والثاني : يتعلق بمتلقي هذا الأدب – وهم الأطفال – لذلك لا بد للمبدع من أن يراعي خصائص هؤلاء الأطفال ، وقدراتهم ، ودرجة استيعابهم ، واهتماماتهم . وكذلك ينبغي أن يراعي نوعية الأفكار أو المضامين التي تلقى لهم . فالمتلقي الذي يتربى على قيم وأخلاق ربانية يختلف عن المتلقين من أصحاب التعاليم أو الأفكار والإيديولوجيات التي لا تهتم باستنبات هذه القيم والأخلاق الربانية في ذات الطفل أو مجتمعه .

وعليه يمكننا أن نعرف أدب الأطفال بأنه [٣] " نوع أدبي متجدد في الأدب الحديث يتوجه لمرحلة عمرية متدرجة من عمر الإنسان ، يكتبه الكبار للصغار في الفنون النثرية والشعرية المتنوعة في لغة تتناسب و(عقول) الأطفال ومداركهم ووجدانهم وذائقتهم، وفقا لمعايير كتابة النص الأدبي للأطفال ، وليس عنهم .. ومن أهم روافد أدب الطفولة في أدب أي لغة الحكايات الشفهية والشعبية ، ويهدف النص الأدبي في

---

(١) البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث ص: ١٨ بتصرف فيما نقله عن : أدب الأطفال ومكتباتهم ص : ١١ لهيفاء شرايحة .

(٢) البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث ص: ١٨

(٣) البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث ص :١٨ .

سائر قوالبه إلى الوظائف الأخلاقية والتربوية والفنية والجمالية [١] ".

يشير التعريف السابق إلى أهمية التمييز بين النتاج الفكري المكتوب عن الطفولة – ثقافة الطفل – والنتاج الأدبي الموجه لهم ، فهو أدب يكتب وفق معايير كتابة النص الأدبي . ولكنه يوجه لجمهور معين : الأطفال ، لذلك يعمل الأديب على مراعاة عدة أمور عند كتابة نصه أهمها : المراحل العمرية للأطفال وخصائصهم ، وحاجاتهم النفسية ، وغيرها من الأمور المتعلقة بهم . ويشير كذلك – أي التعريف السابق – إلى قضية مهمة جدا وهي أن أدب الأطفال يكتبه الكبار للصغار ، وبذلك تم حسم الخلاف حول مسألة تسميته بأدب الأطفال ، أو الأدب الموجه للأطفال ، فأصبح مصطلح (أدب الأطفال) عند جميع النقاد والكتاب والمتخصصين به يعني : النتاج الأدبي الذي يكتبه الكبار للصغار ، فالكبار هم الذين يصنعون أدب الأطفال ، ولكن الصغار هم الذين يكتبون له الخلود .

من هنا نرى " أن حجر الأساس في بناء الإنسان يبدأ من الطفل ، ولذلك أخذت الدول المتقدمة على عاتقها الاهتمام به ، ووفرت جميع الإمكانات من أجله . ولكن هناك من يشك بوجود أدب الأطفال – أصلا – لأن الكتابة للأطفال في رأيهم " تعني الاضطرار إلى النزول إلى مستوى عدم النضج البشري بصورة غير طبعية ، وإلى مراعاة أصول التربية الحديثة مما قد يؤثر على الإبداع الأدبي الذي يتطلب حرية أكثر في

---

(١) هناك تعريفات لأدب الأطفال متعددة وإن كانت تدور في فلك واحد منها :

أ) تعريف الأستاذ / محمد محمود رضوان : هو الكلام الجيد الذي يحدث في نفوس الأطفال متعة فنية سواء أكان شعرا أم نثرا ، تعبيرا شفهيا أم تحريريا . راجع : أدب الأطفال ص : ١٦

ب) تعريف الدكتور / هدى قناوي : كل خبرة لغوية ممتعة وسارة لها شكل فني ، يتفاعل معها الطفل ، وتساعد على إرهاف حسه الفني ، وتسمو بذوقه الأدبي ، وتسهم في نموه وتكامل شخصيته ، وتحديد هويته ." راجع : أدب الأطفال ص : ١٦

ج) الدكتور / محمد علي الهرفي : مجموعة من الآثار الفنية التي تصور أفكارا وإحساسات وأخيلة تتفق ومدارك الأطفال ، وتتخذ أشكالا متعددة ". راجع : أدب الأطفال ص : ١٧ .

صناعة الشكل والمضمون، وعلاوة على ذلك – حسب قولهم – فإن الصبية ليسوا في درجة تؤهلهم للفهم وتذوق عمل فني . ومن ثم ، فمن العسير أن يوجد أدب الطفل في وقت لا يوجد فيه المتلقي القادر على الإفادة من هذا النوع من الأدب[١] ". ويمكن الرد على مثل هذه الآراء بأنه ليس شرطا أن ينزل الأديب الذي يكتب للأطفال إلى مستوى عدم النضج البشري ، بل عليه أن يوظف خبرته الأدبية والعمرية التي اكتسبها، لإيجاد أدب يناسب الأطفال . كما أنه ليس شرطا أن يكون الأديب الذي يكتب عن الحرفيين أو اللصوص أو غيرهم ، منهم ، حتى ينجح في عمله الأدبي . ويدحض الرأي – أيضا – ما أنتجه الكتاب والمبدعون من أدب للأطفال في جميع مراحلهم . وأصبح أدب الأطفال يحتل مكانة مهمة في خريطة الإبداع في العصر الحديث " نتيجة لوعي المجتمعات المتقدمة ، ومدى إسهام هذا الأدب في تربية الطفل وتثقيفه فكريا واجتماعيا ونفسيا ، وخلقيا ، من خلال القراءات الحرة في اختيار ما يجذبه ويحبه" [٢] .

ثانيا : متلقي أدب الأطفال :

لابد لمن يضطلع للكتابة للأطفال أن يعرف لمن سيتوجه بإبداعه هذا ؛ لأن كتابته في مادتها وطريقتها ، وشكلها ومضمونها – تتوقف على نوع هذا الجمهور(المتلقي) وخصائصه المختلفة ، ينبغي أن يحيط بهذا العالم الغريب ؛ لأن ما يكتبه شكلا ومضمونا يخضع لطبيعة وذوق هذا الجمهور. ومن ثم ، يتصرف الأديب حيال الأطفال مثلما يتصرف رجل التربية وعالم النفس ، ولا ينسى – في الوقت نفسه – مهمته الأولى من إبداعه الأدبي، وهي الإمتاع قبل التعليم . ومعرفة الأدب بجمهوره لا تقف عند هذا الحد بل تدفع هذه المعرفة لأن يحترمهم ، ويشعرهم عبر إبداعه بصداقتهم ، ولا يغالي بأستاذيته عليهم ، أو يقلل من شأنهم ، أو يستخف بهم وبقدراتهم العقلية أو المعرفية

---

١) البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث ص : ١٩ .

٢) البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث ص :١٨، ١٩ .

مهما كانت ساذجة أو خيالية "[1] .

ولعل فيما أجمله الدكتور أحمد نجيب ما ينبغي في التعرف على ما ينبغي أن يعيه المبدع أو الأديب الذي يكتب للأطفال " [2] :

١- المعرفة بطبائع الأطفال الذين نكتب لهم ، وأن نكون على وعي كامل بمراحل نموهم ، والخصائص السيكولوجية التي تميز كل مرحلة .. بالإضافة إلى درجة نموهم العلمي ، سواء من ناحية المستوى اللغوي ، أو بالنسبة لحصيلتهم من المعارف والمعلومات المختلفة . فالأطفال في عمر الطفولة يتفاوتون في مستوياتهم العلمية واللغوية ، حتى ولو كانوا نتاج بيئة واحدة ، أو في مرحلة دراسية واحدة .

٢- معرفة الظروف الخاصة للطفل ومستواه العلمي عند اختيار المادة التي توجه له .

٣- التعرف على جمهور أدب الأطفال ، وتفاوت المستويات السيكولوجية والعلمية واللغوية ، وكذلك التفاوت في المستويات البيئية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية .. فالأطفال الذين يعيشون في البادية يختلفون عن الأطفال الذين يعيشون (في الحضر) ، على ساحل البحر في مصر أو جدة أو بيروت .

وكاتب أدب الأطفال يجب أن يكون على وعي كامل بمثل هذه الاختلافات إذا قصد بعمله أن يوجه إلى بيئة خاصة ، أو جمهور من لون معين ، أو مستوى خاص .. كما أنه يجب أن يراعي الشمول والنظرة الواسعة الرحيبة إذا قصد بعمله أن يُنتشر على نطاق واسع يضم مجموعات من جماهير الأطفال ، تتباين في ظروفها وتختلف في مستوياتها وتقاليدها وخبراتها.

---

(١) أدب الأطفال : فلسفته . فنونه . وسائطه – ص : ٨٠ بتصرف . – د. هادي نعمان الهيتي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – بالاشتراك مع دار الشئون الثقافية ببغداد – الألف كتاب الثانية (٣٠) – القاهرة .

(٢) أدب الأطفال علم وفن ص : ٢٥ ، د.أحمد نجيب – دار الفكر العربي – ١٩٩١م – القاهرة .

٤- وهناك عامل آخر يمكن أن ندخله في حسابنا عندما نتساءل :" لمن نكتب ..؟ " ليتيح لنا مجال رؤية جديد ، ذلك أن الكاتب الذي يؤلف مسرحية لتقدم على مسرح للأطفال ، يجب أن يعرف مستوى قدرات من سيقومون بتمثيلها على المسرح .. بحيث يكتب لهم ما يستطيعون أداءه بيسر وسهولة ونجاح ..

ولا شك أن المؤلف الذي يكتب مسرحية ليقدمها (الأطفال) على مسرح للأطفال ، سيدخل في اعتباره مستويات تختلف عما يدخل في اعتبار المؤلف الذي يكتب مسرحية ليقدمها(الكبار) على مسرح جمهوره من الأطفال ..

وكذلك الكاتب الذي يكتب تمثيلية إذاعية أو يعد السيناريو والحوار لبرنامج تليفزيوني للأطفال ، يجب أن يعرف مقدما إمكانيات من سيقومون بالتنفيذ والأداء ، وهل هو يكتب لممثلين هواة من الصغار، أو لمحترفين من الكبار .. ليدخل في اعتباره الاستفادة إلى أقصى حد ممكن من مستوى الأداء المتاح لعمله الفني ..

ثالثا :ماذا نكتب لأطفالنا..؟

تختلف مجالات الكتابة للأطفال وتتباين إلى درجة كبيرة ، وتتخذ أشكالا عديدة .. منها [١] :

١-القصص : وتتفاوت في طولها وفق الاعتبارات الفنية والتربوية ، وتختلف في أنواعها ، فمن الفكاهية والخيالية وقصص الأساطير والخرافات ... إلى التاريخية والجغرافية والعلمية وقصص المغامرات ، وقصص الأبطال وحياة المشاهير والعظماء والعلماء والمخترعين .. ومن قصص الحيوانات الناطقة ، والقصص العلمية المبسطة ... إلى غير هذا و ذاك من أنواع القصص التي يزخر بها عالم الأطفال ..

٢- المسرحيات : وقد تكون تعليمية أو أخلاقية أو تثقيفية أو قومية أو تاريخية أو فكاهية ترفيهية ، وما إلى ذلك وفق الهدف الذي ترمي إلى تحقيقه ، وجوهر الموضوع

(١) أدب الأطفال علم وفن ص : ٢٧ . د.أحمد نجيب - دار الفكر العربي – ١٩٩١م – القاهرة .

الذي تدور حوله .. أو الطابع الذي يغلب عليها ، ولو أن هذه الأنواع كثيرا ما تتداخل ، لتخدم أكثر من هدف في وقت واحد ، فتجمع مثلا بين الفكاهة وتقديم بعض الحقائق التعليمية أو الانطباعات الأخلاقية التوجيهية غير المباشرة .

ومن زاوية " الممثلين " تنقسم المسرحيات إلى أنواع أخرى ، منها :

- مسرحيات يقوم بأداء الأدوار المختلفة فيها الأطفال أنفسهم .

- مسرحيات يقوم بأداء الأدوار المختلفة فيها ممثلون من الكبار ، ليقوم بمشاهدتها جمهور من الأطفال .

- مسرحيات تقدم بالعرائس لجمهور الصغار .

٣- **الشعر** : ومن ناحية الشكل يخرج الشعر إلى عالم الأطفال في صورة الأغنية والنشيد ... والأوبريت والاستعراض الغنائي .. والمسرحية الشعرية ... ويغلب أن يعتمد الأداء في هذه الأشكال المختلفة على الأطفال أنفسهم ، ولو أنه يحدث أحيانا أن يقوم الكبار بعملية الأداء ، وبخاصة في ميدان الأغنية ...

وأما من ناحية المضمون: فقد يتناول الشعر الموضوعات الوطنية والمناسبات القومية أو التاريخية ... وقد يتغنى بالطبيعة والربيع والزهور ، والفراش والطيور ... أو الشخصيات والموضوعات والأشياء التي يرتبط بها الطفل ارتباطا وجدانيا خاصا مثل: الأم والأب والأسرة .. والأرجوحة والكرة والحصان الخشبي والألعاب المختلفة ...أو أصدقاء الطفل من الحيوانات والطيور المنزلية ، كالقط والكلب والديك والدجاج والإوز والبط ... كما قد يتناول موضوعات وقصصا قصيرة وتمثيليات ، تدور حول الحيوانات التي تحظى عند الطفل بمكانة خاصة كالأسد والفيل والثعلب والقرد والفأر والغزال والجمل ..

بالإضافة إلى هذا، توجد الأغاني والأناشيد الخاصة بالمدرسة، أو الرحلات والنوادي والأسر المدرسية ، وأعياد ميلاد الأطفال ، وما إلى ذلك .

٤- **البرامج الإذاعية والتليفزيونية :** وقد تضم القصص بأنواعها والتمثيليات والأغاني والاستعراضات والبرامج الخاصة والتعليمية وما إلى ذلك . وكل هذه الألوان

المختلفة تشترك في صفة أساسية مميزة ،وهي أنها معدة بطريقة إذاعية أو تليفزيونية خاصة تتفق مع ظروف وإمكانيات وسيلة الإعلام التي تقدم عن طريقها إلى جمهورها من الأطفال .

٥- البرامج المسجلة (المنقولة عبر وسائط النقل الحديثة) : يمكن أن نقدم للأطفال عن طريقها الأغاني والأناشيد والتمثيليات والقصص والمواد التعليمية وما إليها مما يعد إعدادا خاصا يقرب من الإعداد الإذاعي ويتقيد بزمن أداة التواصل ...

ومنها ما هو معد بطريقة الإخراج التليفزيوني على شرائط فيديو أو وسائط النقل المستحدثة ، تتمتع بإمكانات جذب وتشويق وإبهار هائلة ، مما يجعلها سلاحا ذا حدين يجب التعامل معه بوعي وحرص وذكاء وقد تكون الاسطوانات أو شرائط التسجيل أو الأقراص المدمجة وغيرها مفردة مستقلة بنفسها ، وقد يكون معها كتاب مرفق يضيف الصورة المطبوعة والكلمة المكتوبة إلى ما تقدمه البرامج من صور صوتية مصاحبة .

وبالإضافة إلى ما سبق ، فإن الاسطوانات أو الأقراص المدمجة يمكن أن تخدم النواحي التعليمية في مختلف المواد ، و في اللغات بصفة خاصة ، وذلك عن طريق إعداد الأغاني والقصص والتمثيليات والبرامج الجيدة التي تُحسِن الجمع بين إمكانيات الكتاب والأسطوانة أو القرص المدمج ..

وإذا أمكن أن تتاح للمدارس ونوادي الأطفال ومؤسساتهم وسائط نقل ومؤثرات صوتية مناسبة ومنوعة ، فإن هذا يفتح أمامهم آفاقا جديدة ممتعة في مجالات الإخراج المسرحي وإعداد برامج الإذاعة المدرسية المحلية ...

٦- المواد الصحفية (الصحف / المجلات) : والكتابة الصحفية شكل آخر من الأشكال التي يصل بها أدب الأطفال إليهم ، موظفا أساليب عديدة متنوعة تفيد من إمكانيات الصحيفة أو المجلة، فتقدم إليهم القصة المصورة بأنواعها المختلفة ، والتحقيق الصحفي ، والجولات المختلفة ، والأغاني والتمثيليات القصيرة ، والمسابقات الأدبية والثقافية ، والموضوعات التعليمية ، والتاريخية ، والجغرافية ، وما إليها بأسلوب شائق مصور

ملون ، بالإضافة إلى أخبار الأطفال المحلية والعالمية ، مع ألوان ونماذج مختارة من قصصهم وآدابهم عند مختلف الشعوب المعاصرة .

٧-الأفلام السينمائية أو المصورات الفيلمية : يمكن عن طريق الإمكانيات السينمائية الضخمة أن نقدم للأطفال ما يحلق بهم في سماء البيئات الجغرافية ، والأجواء التاريخية ، وفي عوالم الحيوان والنبات ، بين عجائب الطبيعة وغرائب المخلوقات ، كما يمكن أن نكتب لهم قصصا هادفة ، أو أفلاما علمية وتعليمية شائقة ..

رابعا : المعايير اللغوية والفنية لأدب الأطفال :

لكل فن من فنون الإبداع الأدبي معايير لغوية وفنية وموضوعية تختلف عن الآخر من فنون الإبداع ، وكذلك لكل مرحلة عمرية لها مواضعات أو معايير فنية وفكرية تختلف عن المراحل العمرية الأخرى ، فما يكتب للأطفال تختلف معاييره عما يكتب للكبار ، وما يكتب من ألوان فنية يختلف كل لون فيها عن الآخر. فللشعر معاييره / مقاييسه / وسائطه الفنية التي يختلف فيها عن غيره من الفنون الأدبية الأخرى : كالقصة أو المسرحية أو التمثيلية الدرامية . كذلك الموضوعات الفكرية ، ربما يختلف تناولها في فن ، ولا يستساغ تناولها في غيره من الفنون . فكل تجربة تختار زيها الفني ، أو أداتها التي تبرز طاقات الجمال فيها . من هنا ، كان جديرا أن نتعرف على أهم هذه المعايير التي تقدمها تجربة المختصين في النظرية الأدبية للأطفال" [١] .

٣) المعايير اللغوية في أدب الطفل :

هناك مجموعة من المعايير لابد أن تراعى وتتوفر في اللغة التي يُكتب بها أدب الأطفال ، وتعد من أهم ما يتسم بها الجانب اللغوي في أدب الأطفال منها :

---

(١) نقلا عن : أدب الأطفال في العالم المعاصر : رؤية نقدية تحليلية . ص :٦٦ وما بعدها باختصار وتصرف – د. إسماعيل عبد الفتاح – مكتبة الدار العربية للكتاب – أولى – ٢٠٠٠م – القاهرة . .

أ- معظم كتب الأطفال العربية تستخدم اللغة العربية الفصيحة الميسرة ، بيد أن الكثير من هذه الكتب مملوء بالمفردات الجديدة التي لم يسبق للقارئ / الطفل الصغير معرفتها ، وهذه المفردات غير المألوفة لدى الطفل ، تضيف صعوبة في قراءة هذه الكتب أو القصص ، وتعوق عملية الفهم .

ب - شيوع بعض الظواهر اللغوية في بعض كتب الأطفال ، وهي ظواهر تعوق الفهم وتحد من السرعة في القراءة ، ومن أهمها : عدم ضبط الكلمات مظنة اللبس ، واستخدام الجمل المركبة والجمل الطويلة ، وعدم اكتمال أركان الجملة ، واستخدام الجمل المركبة والجمل الطويلة ، وعدم اكتمال أركان الجملة ، واستخدام مصطلحات علمية وأدبية وفنية ، والاستطراد في عرض الأحداث ، واستخدام الجمل الافتراضية والاعتراضية ، وغلبة السرد ، وكثرة تعويد الضمائر ، وكثرة المكملات ، واستخدام المبني للمجهول ، واستخدام المترادفات .

ج - غاية الاستخدام اللغوي الفهم والإفهام ، وتحقيق التواصل بين النص المكتوب والطفل القارئ / المتلقي .

د- كثرة من كُتاب أدب الأطفال لا يوظفون الأساليب المجازية والصور الأدبية في الكتابة المؤثرة والمحركة لمشاعر الأطفال ، ويستخدمون لغة خاصة ، لا نبض فيها ولا إحساس ، وهي لغة بعيدة عن الصور الجمالية والخيالية والتعبيرات المجازية والمحسنات البديعية ، وهي لغة تفقد الطفل الإحساس بالجمال اللغوي والذوق الأدبي .

هـ- الصحة اللغوية شرط أساسي لسلامة الفهم والاستيعاب ، ولكنها غائبة عن بعض كتب الأطفال ، فهناك أخطاء في رسم القصة في بعض الهمزات ، وفي الألف اللينة والكلمات المعربة ، وفي التراكيب النحوية المتمثلة في عدم إعمال النواسخ ، وإهمال مراعاة صحة الحركات الإعرابية في التوابع .

و- علامات الترقيم - وهي لغة داخل اللغة - في اللغة المكتوبة رموز متفق عليها لإظهار المعاني وتوضيحها وتفسيرها للقارئ ، ومعظم كتب الأطفال لا تلفت إلى

استخدام علامات الترقيم، مما يترتب عليه سوء الفهم وصعوبة توصيل المعاني والمضامين الحقيقية لما يراد كتابته.

ولتحقيق هذه الملاحظات في الكتابة للطفل ، لابد من توافر عدة أمور تكمن بما يلي :

١) مراعاة القاموس اللغوي للطفل عند إعداد كتاب الطفل ، حتى يتحقق للأطفال قراءة وفهم واستيعاب ما يقدم إليهم .

٢) الاسترشاد بالعوامل (الانقرائية) عند الكتابة للطفل ، والانقرائية تعني: مجموعة مكونات الكتاب التي تحقق للطفل القارئ السهولة والتفاعلية في القراءة ، فيقرأ بسرعة وفهم ومتعة .

٣) العناية بالجانب الجمالي عند الكتابة للطفل ، فنقدم لهم الصور الحسية والأدبية والأخيلة والأساليب البلاغية الميسرة والمحسنات البديعية ، حتى تنمو مهارات التذوق الأدبي لدى الطفل ، فيقرأ بفهم ومتعة ، وتنمو مشاعره ، ويصقل وجدانه ، ويحس بالجمال .

٤) مراجعة كتب الأطفال مراجعة علمية ولغوية ، بما في ذلك المضامين الثقافية والفكرية لكتاب الطفل .

تلك مجموعة متكاملة من المعايير اللغوية ، التي لو أُحسِن استغلالها ، لأصبح كتاب الطفل كتابا نموذجيا [١] .

---

(١) معايير عامة في الكتابة للأطفال :

وهي مجموعة من المعايير التي يجب أن تراعي عند الكتابة للأطفال بصفة عامة ، وكلها موجهة إلى كتاب وأدباء الطفولة . ويمكن استعراض بعض من هذه المعايير المهمة على النحو التالي :

أ – تقديم خبرات يتفاعل معها الطفل ، ويجد نفسه فيها بشكل جيد مشوق في عرض الصور والنصوص اللغوية الميسرة .

ب – تضمين النص المكتوب النكتة والتهكم ، والدعوة إلى النقد وإبداء الرأي ، تحت شعار : كن جريئا في استخدام عقلك ، مما يثير خيال الطفل القارئ ويشجعه على فن الحوار .

٤) المعايير الفنية للإبداع أدب الطفل

يذكر الدكتور موفق مقدادي في بحثه الرصين [١] من أهم هذه الخصائص أو السمات الفنية لأدب الأطفال ما يأتي :

ج – الكتب الجيد لا يعزل القارئ عن العالم المحيط به ، بل العكس .. فإنه يصبح رفيقه الحميم وينمي قدرته على الإبداع وحل المشكلات .

د– مراعاة سمات الإبداع في كتب الأطفال قبل الحديث عن الرؤى المستقبلية والتفكير النقدي النسبي ، وتكوين علاقات جيدة والخيال الحر والقيم الإنسانية العالمية ، وتعدد التأويلات والتفاعل مع المعرفة بمنهج جدلي ، والتفكير العلمي والعقلاني والمنطقي ، وطرح التناقضات ، وإثارة الأسئلة وتقديم تاريخ الحضارة الإنسانية .

هـ– الكتابة عن المفكرين والفنانين والعلماء المبدعين .

و– الكتابة من العلوم الطبيعية والإنسانية مع التركيز على المستقبل .

ز– الأسئلة التي يوجهها التربويون التقدميون لمؤلفي كتب الأطفال كثيرة ، ومن أهمها : لأي شريحة من الأعمار هذه الكتب ؟، وماذا يريد المؤلف من هذا الكتاب ؟ ، وماذا سيتعلم الأطفال من هذه الكتب ؟، وهل يغلب على الكتاب البهجة والمرح ؟، وهل يعني الكتاب ضمنيا بالقيم الأخلاقية ؟ وكذلك بالسلوك المرغوب فيه ؟، وهل لغته صحيحة وسهلة ميسرة ؟، وهل هو مشوق ومثير وجذاب في عرضه للخبرات والأفكار؟، وهل يدعو إلى التفكير وإعمال العقل ؟، وهذه الأسئلة كلها إذا أجيب عليها أصبحت إطارا مناسبا للكتابة للأطفال .

ح – الأدوار المطلوبة من مؤلفي كتب الأطفال كثيرة ومتنوعة ، لأنه المؤلف المبدع والمربي والحارس على الأخلاق والعالم والأديب ، وعليه أن يقوم بدور الوالدين والسياسي والفيلسوف والمفكر والثائر والفنان الممتع ، بالإضافة إلى دوره التربوي .

ط – كتاب الأطفال المرموقون يهتمون بتنمية السلوك الاجتماعي ، ووضع الخطط للحياة في المستقبل ، وزيادة العلم والاستمتاع والشغف بالعالم الذي يعيش فيه الطفل ، ووضع الصغار في أدوار الكبار عن طريق اللعب والتخيل والإغراء بالضحك وتنمية ملكة الإبداع والخيال عند الأطفال ، والإحساس بالكلمة وتوسيع المدارك اللغوية .

تلك كانت أهم المعايير التي لابد منها عند تشكيل الفضاء الإبداعي للأدب أو الفن الذي يمكن أن يقدم للأطفال ، في تشكيل عصري جيد يليق بطفل اليوم وعالمه .

(١) البنى الحكائية ص : ٤٣ – بتصرف – سابق .

١. أن يهدف الإبداع الأدبي إلى تربية الطفل ، أي أن تكون موضوعات الأدب هادفة ، وذات مغزى ، تحرك عقول الأطفال ووجدانهم ، وتحمل قيما تربوية مثل الصدق ، والأمانة ، وحب الوطن ، والإيثار، والشعور بالانتماء والولاء ، وحب العمل ، من منطلق رؤية إنسانية خالصة .

٢. أن يراعي الإبداع الأدبي للطفل بساطة الفكرة ووضوحها ، وذلك بالتركيز على المعاني الحسية ، فيعبر الإبداع ؛ (شعرا أو نثرا) عن تجارب مرت بالأطفال ، وحوادث تعلق بشئونهم الخاصة : كالألعاب ، والرحلات، والأعياد، وتكون بعيدة عن الفلسفة ، ووثيقة الصلة بحياة الطفل وعالمه ووثيقة الصلة بثقافته وعاداته وتقاليد مجتمعه.

٣. أن يرتبط – الأدب – بالمعجم اللغوي للطفل ، فإذا وظف الشاعر ألفاظه من الألفاظ التي يستعملها الطفل في حياته اليومية ، فإن هذا يساعد الطفل على فهم هذه الأشعار أو القصص ، ويتفاعل مع العمل الأدبي ولا ينفصل عنه . ويجب على الأديب مراعاة المراحل العمرية للأطفال ، فالذي يكتب لأطفال المرحلة الابتدائية ، يختلف لغة عن من يؤلف لغيرهم من الأطفال في المراحل العمرية المتقدمة .

٤. أن يهتم الأدب والأديب بالجانب الإيقاعي ، حيث يتمثل الإيقاع في أوزانه وقوافيه ، وكلماته ؛ لذا كان الشعر العمودي أفضل للأطفال من شعر التفعيلة ؛ لأنه يساعدهم على ترديد الكلمات وتكرار النغم .

٥. الطفل العربي بحاجة إلى تنويع الشعر المقدم له ، لكن الملاحظ أن كتب القراءة في البلاد العربية أهملت المسرحيات ، والتمثيليات الشعرية ، على الرغم من أهميتها ، ودورها في مجال تربية الطفل ، وهي تكاد تخلو من الشعر القصصي ، على الرغم من أهميته في تنمية التذوق الأدبي عند الأطفال ، ومساعدتهم في حفظ الأشعار؛ لأنه يأتي على شكل قصة ، و ربما يعود السبب في ذلك إلى قلة الشعر القصصي في أدب الأطفال العربي .

خامسا :مشكلات الأدب الذي يقدم للطفل العربي :

لا يخفى على المتلقي – ناقدا أو مبدعا أو قارئا – أن الأدب الذي يقدم لأطفالنا في العالم العربي والإسلامي يعاني من عدة مشكلات لعل أبرزها :

الأولى : إن أدب الأطفال يفتقر إلى تحديد السن المناسبة لكل قصة ، أو كتاب يؤلف للأطفال ، فمن الشائع في دور النشر العربية إصدار كتب الأطفال دون تحديد المرحلة العمرية المناسبة ، إلا في قليل مما يصدر، الأمر الذي يؤدي إلى خلق مشاكل بالنسبة للآباء والمعلمين ، إذ يحرمهم هذا من الأساس العلمي لاختيار ما يناسب أطفالهم ، ويمثل – كذلك – مشكلة للباحثين ، حيث يمنعهم من تصنيف الكتب أو تقويمها ، وإصدار أحكام عليها ، ويقف الطفل حائرا عند اختيار ما يناسبه من هذا الإبداع . وربما يعود سبب عدم تحديد السن المناسبة إلى عدم إلمام الكتاب بمراحل الطفولة ، إضافة إلى اختلاف خصائص كل مرحلة من هذه المراحل .

الثانية : إذا قورن الكتاب الذي يقدم للطفل العربي بالكتاب الغربي من حيث الشكل ، وجد أنه " يفتقر إلى التغليف المتين الجذاب ، والحجم المناسب ، والطباعة الأنيقة ، والورق الجيد ، والصور الواضحة التي تساعد على الفهم وتهذيب الشعور ، وترقى بالإحساس وتنمي التذوق عند الأطفال ، لذا فإننا نلاحظ أن كتب الأطفال في بلادنا ما زالت بعيدة بُعدا كبيرا عن المستوى الذي بلغته في الأمم المتقدمة ، وإن أطفالنا إذا أريد لهم أن ينشأوا قادرين على فهم أنفسهم ، وفهم العالم المحيط بهم ، لابد أن يهيئ الراشدون لهم كل الفرص للاحتكاك بالكتب التي تناسب ميولهم ومراحل نموهم " ، ولا ينطبق هذا الرأي على كل الكتب المقدمة للأطفال حتى الآن ، فقد بدأ الاهتمام بشكل الكتاب المقدم للطفل العربي – واضحا – في الثمانينيات من القرن الماضي ، وكان هذا الاهتمام من جانب الكُتاب ودور النشر ، لإدراكهم أن جودة الغلاف والطباعة تساعد على إثارة اهتمام الأطفال بالقراءة وإقبالهم عليها .

الثالثة : تعتمد كثير من القصص على الحظ ، والمصادفة ، والسحر ، والجن ، والعفاريت ، وهذه القصص لها نتائج خطيرة ، لأنها تغرس في الأطفال الميل إلى الاعتقاد أن النجاح في الحياة لا يعتمد على الجهد الشخصي ، والدراسة ، والجدية ، بقدر ما يعتمد على الحظ ، أو على جني أو ساحر يخلقان السعادة للطفل !!، كما أن بعض القصص التراثية تعالج أخبار الملوك والأمراء ، وتهدف في معالجتها إلى بيان فضلهم ، حتى لو كانوا يتصفون بالجبروت والبطش والدكتاتورية والطغيان !!.

الرابعة : إن أدب الأطفال من إبداع الكبار . ومن ثم ، فهو ينقل إليهم وجهات النظر التي يعدها هؤلاء أكثر فائدة لتنشئة القراء " الأطفال " . كما ينقل – أيضا – وجهات النظر تلك في المصطلحات والأسلوب اللذين يعدهما الكبار مناسبين وملائمين لفهم وذوق جمهورهم ، نتيجة لذلك فقد " اتضح أن معظم المواد المقروءة والمسموعة والمرئية التي تقدم للأطفال خارج المدرسة وداخلها ترتبط بثقافة الذاكرة ، لا بثقافة الإبداع ، فهي حقائق سردية تقريرية ، وقضايا مسلم بصحتها ، وهي تقييد لفكر الطفل القارئ والمستمع والمشاهد ، وهي خزائن مملوءة بالحقائق ، والمعلومات ، والمفاهيم . وبها ما يوحي بالسيطرة والاستبداد بالأوامر والنواهي ، وهي تخلع القدسية والخضوع لبعض الأفكار والأشخاص ، وبها خبرات غير مباشرة منفصلة عن البيئة ، وعن الوظيفة، كما أنها لا تحقق حوارا مع الطفل ، وهي مادة تخلو من التعليل والتفسير والموازنة ، وإعمال الفكر ، وإهمال البحث عن العلاقات بين القضايا، وبعد عن استخدام الخيال".

ومن هذا المنطلق فإنه ليس كل ما يكتب ويوجَّه للأطفال يعد أدبا ، فأدب الأطفال – باختصار – هو ما يقرأه الأطفال بإعجاب وتقبل ، لذلك فإن أدب الأطفال العربي يحتاج إلى وضع معايير مناسبة ، تحفز على تنمية قدراتهم وفكرهم ، وخيالهم . وذائقتهم العربية .. وأهم هذه الأمور التي يجب مراعاتها :

أ) وضع مادة أدب الأطفال على شكل مشكلات تستثير الطفل وتنمي عقله ، وتفتح المجال أمامه ليفكر تفكيرا علميا ، وتفسح المجال لخيال الطفل كي يتصور ويحلق في عالم مفارق لعالم الواقع .

ب) عرض مواد أدب الأطفال على أنها نتيجة تطور ، لا يقف عند حد ، وإتاحة التحري للعقل بعرض المقدمات ثم النتائج ، وتحرير عقل الطفل من المحرمات الفكرية ، ودعوته إلى الارتباط بالبيئة للبحث عن خبرات جديدة .

جـ) تدريب الطفل على الاستماع الناقد ، والقراءة والمشاهدة الناقدة ، وقبول آراء الآخرين ، والدعوة إلى التفسير ، والتعليل ، والموازنة بين الآراء ، والحقائق ، وكشف العلاقات والدعوة إلى تفعيل الخيال .

الخامسة : لا يخفى على الدارسين والقراء أهمية الترجمة – في أدب الكبار والصغار على حد سواء – فالترجمة تقدم للطفل قصصا أدبية من بيئات متعددة : إنجليزية ، وكندية ، وصينية ، وهندية ، وفرنسية ، وألمانية ، وتحمل في ثناياها فوائد عديدة . ولكن ، يلاحظ أن بعض القصص ترجمت ترجمات مشوهة ، وبعضها يميل إلى الإفراط في وصف معتقدات أهل البلاد التي ترجمت القصص منها ، وذكر عاداتهم وتقاليدهم ، دون أن تقدم فائدة أدبية أو علمية للطفل تلائم فكره أو تصوره ورؤيته في معالجة مايقع في مجتمعه من قضايا ومشكلات ، تتناسب مع سِنِّهِ وتفكيره .

السادسة : عزوف كبار الأدباء عن الكتابة للأطفال ، وليس هذا فحسب ، فالأقلام النقدية – لكبار النقاد – لا تسهم أيضا في إثراء مادة أدب الأطفال ، لأن جل اهتمامها ينصب على الأدب المقدم للكبار ولا يلتفتون لما يبدعه كتاب أدب الطفل .

سادسا :أنموذج تحليلي لنص أدبي :

قصة " الحدث الجلل " (١) للكاتب : عبد التواب يوسف (٢)

" قطار السكة الحديدة ينهب الأرض نهبا وينطلق بأقصى سرعة ، وإذا كان هناك فوق القضبان أحد أو شيء صدمه وأزاحه بعنف وقوة تحطمه وتدمره ، ترى ماذا يمكن أن يحدث لو أن طفلة صغيرة اعترضت طريقه ؟!.

كان عامل السكة الحديدية أمينا في عمله .. هو يعرف أن مئات الأرواح في القطارات الآتية والذاهبة ، تعتمد عليه ..إذ لديه جدول بمواعيدها لتحديد مسارها ، وهو يقظ كل اليقظة لمهمته ومسئوليته ، إنه يدرك ما يمكن أن يحدث إذا هو أخطأ يوما ، وقد يقع صدام مروع ، وربما انحرف القطار عن القضبان ، و ..إلخ ، لذلك كان حريصا كل الحرص على أداء واجبه ، ليلا ونهارا وقد أقام بيته الصغير قرب المكان الذي يتم فيه تحويل الخطوط ، وعينه دائما على الإشارات وعلى المواعيد ، وما كان يترك شيئا للظروف قط ، الناس آمنون في سفرهم بالقطار ، والسر في ذلك أنهم يعرفون أن هناك أناسا أمناء عليهم يحسنون التصرف ، ويؤدون ما عليهم من واجب ، وهو بين مواعيد القطارات كان يلعب مع ابنه ، أو يداعب ابنته ، ويحكي لهما الحكايات ، وذات يوم كان يجلس إلى ولده ، بينما انصرفت الابنة إلى شيء ما جعلها تقف بين قضيبي القطار ، وتَنبَّهَ الرجل إلى قدوم القطار ، ورغب في أن يلفت نظره أو يختطفه من حيث وقف ، لكن الوقت كان ضيقا ولا يتسع لذلك . أسرع الرجل يؤدي واجبه !

فتح الرجل الخط أمام القطار المقبل ، مثل ريح عاصفة ، وقد أطلق صفارته العالية لينقذ الفتاة ، وما كان في مقدور السائق إيقاف القطار قبل الوصول إليها ، ولا كان في

---

(١) براعم الإيمان (المجموعة القصصية الثانية للأطفال / جـ ٢) ص : ٨ -إصدار رقم (٥٣) – مجلة الوعي الإسلامي – أولى – ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت .

(٢) الأستاذ عبد التواب يوسف كاتب مصري متخصص في إبداع أدب الأطفال .

استطاعة أبيها أن ينتشلها ، وواجبه يحتم عليه أن يفتح الطريق للقطار الذي راح ينهب الأرض بسرعة خاطفة ، وأغمض الرجل عينيه حتى لا يرى ما سيحدث للصغيرة الواقفة بين قضبان السكة الحديدية ، ومرت لحظة قصيرة ،كومض مساره إلى طريقه الصحيح ،ولو على حساب المسكينة ، التي لابد أن تكون قد ذهبت ضحية هذا القطار الرهيب والرجل يؤمن بأنه لو لم يفتح الخط لوقعت حادثة فظيعة يروح ضحيتها عشرات من الأبرياء ركاب القطار الذي كان يمكن أن يدمر كل ما في طريقه ، وكل من فيه . ورفع الرجل رأسه ، ورفع يديه عن عينيه لكي يشهد ما حدث خلال مرور القطار ، حيث كانت ابنته ... وكان قد ثار غبار كثيف نتيجة لمرور القطار .

تطلع الرجل خلال الغبار الكثيف ، ولم يصدق نفسه راح يفرك عينيه ، وينظر ويحملق ، ويدقق ، وقد سيطر عليه ذهول شديد لقد رأى ابنته تقف كما كانت واقفة بين قضيبي السكة الحديدية ،جرى إليها ، واختطفها ، وضمها إلى صدره ، وهو لا يدري ما الذي حدث بالضبط ، وكيف وقعت هذه المعجزة ، وما سر نجاة ابنته !

لقد اكتشف الرجل الأمين أن الهواء الشديد الذي صاحب قدوم القطار قد ألقى بالصغيرة بين القضبان على الأرض ، فلم يصبها خدش ولا كدمة ، ومرت العجلات عن يمينها ويسارها دون أن تمسها بسوء.

لقد وقعت معجزة بلا شك .

وعلم الناس ، وعرف المسئولون بالقصة ، وقد اجتمعت المدينة لتكرم الرجل الذي كاد أن يضحي بابنته من أجل سلامة مئات من ركاب القطار! .وعليه تمنحه الحكومة وسام الشجاعة ، تقديرا لهذه البطولة الرائعة التي لا تتكرر !

أرأيتم كيف تكون قدرة الله ؟!

إنها فوق الخيال ، والله سبحانه وتعالى وحده هو القادر على صنعها ، برهانا على قدرته ورحمته سبحانه وتعالى ..

كلما سمعنا أو رأينا أو قرأنا عن مثل هذا الحديث ازددنا إيمانا وبعظمته ". (**تمت**)

التحليل الفني :

قصة الكاتب عبد التواب يوسف (الحدث الجلل) تدور حول فكرة الواجب والعاطفة !! أيهما يتغلب على الآخر .

تطرح القصة معالجة عبر شخصية عامل السكة الحديد الذي يدير حركة سير القطارات (المحولجي) ومدى التزامه بواجبه الوظيفي والإنساني نحو عمله ومجتمعه الذي يعيش فيه ، عبر مجموعة من الآليات أو الوسائط الفنية التي تشكل فضاءه القصصي .

هذا الفضاء القصصي تشكل فضاءه مجموعة من الوسائط الفنية كالآتي :

١) اللغة . ٢) الفكرة . ٣) الحدث . ٤) الشخصيات .

٥) الزمان . ٦) المكان . ٧) الصراع ..

اللغة : كل هذه المفردات أو الوسائط تدار عبر آلية السرد / الحوار وتقنياته الفنية ، وبلغة سهلة وبسيطة وواضحة ، بعيدا عن التعقيد أو الغموض أو الإسراف في توظيف الأدوات المجازية ، أو الضمائر المتعددة ، التي يمكن أن تصنع الارتباك عند الطفل ، تصرفه عن المتابعة والإدراك فضلا عن التسلية أو الإمتاع .

الفكرة : وتتبلور في (عامل السكة الحديد) الأمين الحريص على أداء واجبه عندما تختبره الظروف فتضع مصير ابنته الصغيرة في كفة والقطار بكل ركابه في الكفة الأخرى !! حيث ذهب لكي يجهز الطريق لأحد القطارات السريعة المقبلة على خط السكة الذي يديره ، وإذا به يفاجأ بوجود ابنته على الخط ذاته !! ما أوقعه في حيرة من أمره :

– هل يخالف ضميره ويتناسى واجبه فيضحي بالقطار بكل ركابه ؟ وفي ذلك سلامة ابنته !!

أم يأبى ضميره وواجبه الإنساني والوظيفي ويقوم بواجبه حتى ولو كان في ذلك حتف ابنته ؟ .

هذا ما سنراه في الأحداث .

الحدث : وهو يتبلور في لحظة الاختيار بين مرور القطار في السكة الآمنة أم الانسياق وراء عاطفة الأبوة وإنقاذ ابنته من مصير محتوم !!

الشخصيات : البطل عامل السكة الحديد والذي لم يضع له الكاتب اسما محددا ، للاهتمام بأداء الشخص (وظيفته في الحياة) وليس اسمه !! ، فما يعنيه هو الواجب الوظيفي وليس الاسم أو الانتماء الديني أو العرقي ؛ ليعلمنا أن الواجب لا يعرف الدين ولا الجنس ولا العرق ولا حتى الاسم !! ومن هنا وجدنا الكاتب يركز على البعد الداخلي في الشخصية ويغذيه ؛ ليدير الصراع مع الأطراف الأخرى :

" كان عامل السكة الحديدية أمينا في عمله .. يعرف أن مئات الأرواح في القطارات الآتية والذاهبة ، تعتمد عليه ، ... ، وهو يقظ كل اليقظة لمهمته ومسئوليته ، إنه يدرك ما يمكن أن يحدث إذا هو أخطأ يوما ، وقد يقع صدام مروع ، وربما انحرف القطار عن القضبان ، و ..إلخ ، لذلك كان حريصا كل الحرص على أداء واجبه ، ليلا ونهارا وقد أقام بيته الصغير قرب المكان الذي يتم فيه تحويل الخطوط ، وعينه دائما على الإشارات وعلى المواعيد ، وما كان يترك شيئا للظروف قط .. " .

القطار : بوصفة أداة لها دورها في صناعة الحدث وحركته وتناميه .

الطفلة ابنة عامل السكة الحديد طرف من أطراف الصراع .

الزمان : وهو وقت مرور القطار ليلا أو نهارا .

المكان : نقطة محددة لإدارة حركة القطار القادمة والذاهبة عبر هذه النقطة (المزلقان) على خط السكة الحديد .

الصراع : وهو يتمثل في توزع الرجل بين عاطفته نحو ابنته وسلامة ركاب القطار ! فتتمزق نفسه هذا الأب لكن سرعان ما تدفعه قيمه الحضارية والإنسانية التي تربى

عليها واكتسبها من ثقافات الحياة الدين والعادات والقيم المتوارثة في مجتمعه ، كل ذلك دفعه نحو تغليب واجبه على عاطفته بثقة وثبات أب محب لابنته !!

" وذات يوم كان يجلس إلى ولده ، بينما انصرفت الابنة إلى شيء ما جعلها تقف بين قضيبي القطار ، وتنبه الرجل إلى قدومه ، ورغب في أن يلفت نظرها أو يختطفها من حيث وقفت ، لكن الوقت كان ضيقا ولا يتسع لذلك وأسرع الرجل يؤدي واجبه !

فتح الرجل الخط أمام القطار المقبل ، مثل ريح عاصفة ، وقد أطلق صفارته العالية لينقذ الفتاة ، وما كان في مقدور السائق إيقاف القطار قبل الوصول إليها ، ولا كان في استطاعة أبيها أن ينتشلها ، وواجبه يحتم عليه أن يفتح الطريق للقطار الذي راح ينهب الأرض بسرعة خاطفة ، وأغمض الرجل عينيه حتى لا يرى ما سيحدث للصغيرة الواقفة بين قضبان السكة الحديدية ، ومرت لحظة قصيرة ،كومض مساره إلى طريقه الصحيح ،ولو على حساب المسكينة ، التي لابد أن تكون قد ذهبت ضحية هذا القطار الرهيب والرجل يؤمن بأنه لو لم يفتح الخط لوقعت حادثة فظيعة يروح ضحيتها عشرات من الأبرياء ركاب القطار الذي كان يمكن أن يدمر كل ما في طريقه ، وكل من فيه . ورفع الرجل رأسه ، ورفع يديه عن عينيه لكي يشهد ما حدث خلال مرور القطار ، حيث كانت ابنته ... وكان قد ثار غبار كثيف نتيجة لمرور القطار " .

ومن ثم ، يفاجئه القدر – وهو يتمزق قلبه وتتراءى له أمام عينه جثة ابنته أشلاء هنا وهناك – ويدهشه أيما إدهاش !! إذ يتفحص الغبار الثائر خلف القطار المندفع كالإعصار :

" تطلع الرجل خلال الغبار الكثيف ، ولم يصدق نفسه راح يفرك عينيه ، وينظر ويحملق ، ويدقق ، وقد سيطر عليه ذهول شديد لقد رأى ابنته تقف كما كانت واقفة بين قضيبي السكة الحديدية ، جرى إليها ، واختطفها ، وضمها إلى صدره ، وهو لا يدري ما الذي حدث بالضبط ، وكيف وقعت هذه المعجزة ، وما سر نجاة ابنته !.

لقد اكتشفت الرجل الأمين أن الهواء الشديد الذي صاحب قدوم القطار قد ألقى بالصغيرة بين القضبان على الأرض ، فلم يصبها خدش ولا كدمة ، ومرت العجلات عن يمينها ويسارها دون أن تمسها بسوء .

لقد وقعت معجزة بلا شك . "

حقا إنها معجزة !! لكن السر فيها هو حرص الرجل على أداء واجبه وإتقان عمله ، وإيثار حياة الناس على حية ابنته حتى ولو كانت حياته هو، فلن يبخل !!.

ومن يزهد في حياة ابنته لن يمنعه واجبه وضميره اليقظ عن تقديم حياته هو طائعا مطمئنا !!

نحن اليوم في وطننا محتاجون لمثل هذا الأنموذج الإنساني المتحضر الرفيع ، ترى ماذا لو كان عامل التحويلة تغافل وأسكت ضميره ، وانتصر لعاطفته ؟ لوقعت كارثة !! لكان انقلب القطار بكل من فيه ، وعندها سيكون الوطن كله في مأزق !!.

ماذا لو كان سائق القطار في محطة مصر[1] ، كان سيدرك دوره وواجبه الوظيفي في إدارة القاطرة التي يقودها ، وما كانت وقعت تلك الكارثة التي طالت شظاياها كل بيت في مصر!!.

ما وقعت الكارثة إلا من أزمة الضمير الإنساني والمهني الذي يعاني منهما هذا المخبول سائق القطار !. ومن ثم ، وقعت الكارثة وكان ضحيتها لا أقول الموتى والمصابين ولكن كان ضحيتها وطن بأكمله ، يدفع جراء هذا الاستهتار من هدوئه وسلامته وسمعته واقتصاده ورجاله الكثير، مما لم يعبأ به مثل هذا السائق وزملاؤه ، من خربي الذمم ،ومعدومي الضمير ، ومعادي الإنسانية !!.

ومن هنا، يحرص الكاتب أن يزرع في نفوس أطفالنا هذه المسئولية منذ نعومة أظفارهم حتى إذا ما استوى عودهم وكبروا ، يتحملون مسئولياتهم باقتناع ويقين ، بعيدا

---

(١) إشارة إلى حادث اصطدام جرار القطار بنهاية الرصيف في محطة مصر جراء إهمال السائق واحترق ضحية إهماله في يوم الأربعاء : ١٧ / ٢ /٢٠٢٠م في القاهرة .

عن المراوغة والتسويف والأنانية ، التي توردهم – ومن يعيشون معهم – موارد الهلكة والبوار !! لذا حدب الكاتب على مكافأة هذا العامل المحسن في عمله ، إذا كافأته مؤسسته (مصلحة السكة الحديد) وكل أهل المدينة التي يسكن فيها ووقع فيها هذا الحدث الجلل . فالله (عز وجل) لا يضيع أجر المحسنين ، وكذلك ليس جزاء الإحسان إلا الإحسان .

فكل من يقدم عملا نافعا لوطنه أو مجتمعه أو حتى أسرته فلابد أن يجد لهذا الفعل صدى في ذوات من تلقى خير هذا الصنيع ؛ لنغري الناس بتقليد هذا الصالح المصلح في مجتمعه صغر أم كبر !! كما لابد أن يعرف أبناؤنا وشبابنا أن رحمة الله قريب من المحسنين !! عندما أحسن عامل التحويلة التصرف / الفعل كافأه الله بأن أدركته رحمة الله ولطفه به فأنقذ له ابنته من موت محقق لا محالة !! .

وهذا التشكيل لفضاء القصة على نحو يعلي من قيم الواجب في نفوس متلقي هذا الإبداع ليمثل وجها فاعلا وبانيا من أدوات البناء الحضاري للمجتمع وهذه القيم والفضائل التي تشكل وجدان الطفل العربي المسلم تنبثق في جوهرها من المقومات أو المرتكزات المنتجة للحضارة في أي مجتمع . إذ الحضارة تنهض في أي مجتمع من المجتمعات على ثلاثة قوائم :

- الثقافة والإبداع .
- الدين أو المعتقد .
- العادات والتقاليد والقيم الراسخة في مجتمع ما .

ولو نظرنا بإمعان في تلك المقومات لوجدنا أنها في مجملها تشكل الوعي الحضاري للإنسان ؛ طفلا أو شابا أو رجلا يسهم بوعيه هذا الفكري وجدانه وأحاسيسه ومشاعره الراقية في سمو هذا الإنسان وتشكيل حركته وفق الفطرة التي فطرها الله عليها ، وفي الصورة الحسنة التي أوجده سبحانه عليها .

الخاتمة

وأخيرا ، تخلص هذه الدراسة إلى عدد من النتائج ، من أهمها :

١) **الإبداع الأدبي الموجه للأطفال العرب المسلمين ، فن إبداعي له خطرة في تشكيل وجدان الإنسان منذ طفولته وحتى كهولته . فتأثيره واعد في عملية التنشئة وبناء شخصية الطفل على نحو ينتج رجلا مثالا لواقعه الإنساني النبيل .**

٢) **أدب الأطفال المنبثق في إبداعه من رؤية الإسلام للإبداع الأدبي يؤسس لبناء واقع إنساني يشكل عقلية الطفل ومن ثم شخصيته ، ويربي ذائقته الأدبية والجمالية ، فينشأ إنسانا متفاعلا متحضرا مفيدا في تطور حركة بناء مجتمعه على نحو يجعله أنموذجا واعدا في حياة الناس .**

٣) **الاهتمام بأدب الطفل وتوجيه نظر النقاد في متابعة منتجه ، يثري العملية الإبداعية ويؤسس لوعي حضاري ناهض لدي أطفالنا في سن مبكرة ، ويحيا في وجدانهم على نحو يشكل نمطا إنسانيا فطريا قادرا على الاشتباك مع يعن له من مواجهات الحياة .**

٤) **صناعة أدب الطفل بوعي والتزام ، وإنتاجه على نحو يعنى بالقيم والفضل الإنسانية في شكل إبداعي جمالي جذاب ، مهم فسي صناعة أجيال قادرة على التفاعل البناء ، والإسهام في معالجة مشكلات ربما تعوق حركة نهضة المجتمعات العربية والإسلامية ، فيسعي إنسان هذا الواقع المتحضر للبناء والارتقاء ، في الوقت الذي يحدب غيره على الهدم والتخريب والعنف والاعتداء !!.**

في النهاية ، ترسل الدراسة صرخة عالية ، علها تصل إلى وجدان المربين والمهتمين بشأن الطفولة وبناء الإنسان ، في مجتمعاتنا العربية والإسلامية ، أن يعنوا بأدب الطفل ويجزلوا العطاء والاهتمام للموهوبين ممن يبدعون أدب الأطفال بوعي وفكر وجمال إبداعي رصين ، قادر على استقطاب الطفولة الغراء ، من فلذات أكبادنا ؛ روح الحياة صغارا ، وبُنَاتُها كبارا ، حتى تستقيم لنا الحياة ، بعيدا عن زحف التتار الذي يواجهه أبناؤنا ، عبر برامج تسعي لتقويض بناء الأمم والحضارات في أعز وأهم ماتملك

؛ أبناؤها ، وما نراه ونعاينه على البرامج الإنترنتية ، التي اقتمحت علينا خصوصيتنا ، ودمرت كل الحواجز ، وقوضت كل المتاريس ؛ كبرامج (التيك توك ، واليوتويوب) ، وما ينشر عليهما من قذر وإباحية مقيتة ومتبجحة ، تدمر كل ما يحتشد أمامها من جهود بانية أو محصنة ، أو مانعة من التفلت والانهيار لقيمنا وثقافتا وتراثنا وديننا الحنيف ؛ تدمر وعينا الحضاري في تشكيل مجتمعات نظيفة واعدة وقادرة على مواجهة ما يحاك لها من تآمر وتجريف حضاري وابتذال لكل ماهو إنساني أو نبيل يواجه زيف حضارتهم وبغاء تفكيرهم ، وفضح تآمرهم وسوداويتهم ، واستلاب كل ما يصنع تميزنا في مواجهتهم الدائمة مهما تخفت أو تزيت أزياء باهرة أو لامعة .

المصادر والمراجع

١) الأدب الإسلامي : إشكالية المصطلح – بحث منشور للدكتور كمال سعد محمد في مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط – عدد (٣٢)– ٢٠١٤م – جامعة الأزهر . أسيوط .

٢) أدب الأطفال علم وفن. د.أحمد نجيب – دار الفكر العربي – ١٩٩١م – القاهرة .

٣) أدب الأطفال : فلسفته . فنونه . وسائطه – د. هادي نعمان الهيتي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر .

٤) أدب الأطفال في ضوء الإسلام – نجيب الكيلاني . بتصرف– مؤسسة الرسالة – أولى – ١٩٨٦م– لبنان .

٥) أدب الأطفال في العالم المعاصر : رؤية نقدية تحليلية – د. إسماعيل عبد الفتاح – مكتبة

٦) الإسلامية والمذاهب الأدبية – نجيب الكيلاني . مؤسسة الرسالة – الرابعة –١٩٨٥م– بيروت .

٧) براعم الإيمان (المجموعة القصصية الثانية للأطفال / ج ٢) – إصدار رقم (٥٣) مجلة الوعي الإسلامي – أولى – ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م –وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت .

٨) البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث – د. موفق رياض مقدادي – عالم المعرفة – عدد (٣٩٢) ، مطبوعات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – سبتمبر ٢٠١٢م – الكويت .

٩) التصوير الفني في القرآن– سيد قطب . دار الشروق – العاشرة – ١٩٨٨م– القاهرة .

١٠) في الأدب الإسلامي المعاصر– محمد حسن بريغش – مكتبة المنار . ١٩٨٥ م . الأردن .